

سِفْرُ أَيُّوبَ

المحاضرة ١: أَيُّوبُ، وَالشَّيْطَانُ، وَاللَّهُ

ديرىك توماس

الآن، سَوْفَ نَدْرُسُ مَعًا سِفْرَ أَيُّوبَ، بِكُلِّ أَصْحَاحَاتِهِ ٤٢؛ وَالْيَوْمَ سَنَبْدَأُ بِالْأَصْحَاحِ الْاِفْتِتَاحِيِّ، أَيُّوبَ الْأَصْحَاحِ ١. فَلَنَبْدَأُ بِالآيَةِ ١: "كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عَوْصَ اسْمُهُ أَيُّوبُ. وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَامِلًا وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي اللَّهَ وَيَجِدُ عَنِ الشَّرِّ".

فِي الْقُرْنِ ١٧، وَاِعْظُمَ مَشِيخِي اسْكُتْلَنْدِي يُدْعَى جُورْجْ هَانْشِينْسُونُ (George Hutchinson) أَلْقَى ٣١٦ عِظَةً مِنْ سِفْرِ أَيُّوبَ. ثُمَّ أَتَى جُوزيفْ كَارُولُ (Carroll Joseph)، وَهُوَ أَشْهَرُ مِنْهُ، وَكَانَ فِي لُنْدُنْ؛ ثُمَّ خَلَفَهُ جُونُ أُوَيْنُ (John Owen) فِي الْكَنِيسَةِ فِي لُنْدُنْ، وَقَضَى ٢٣ عَامًا يَعْطُ مِنْ أَصْحَاحَاتِ سِفْرِ أَيُّوبَ، مُلَقِيًا ٤٢٤ عِظَةً. وَفِي عِظَتِهِ الْأَخِيرَةِ كَتَبَ: "لَمْ أَصِلْ إِلَى فَهْمٍ وَاضِحٍ لِبَعْضِ النُّصُوصِ". مِنْ الصَّعْبِ تَخَيُّلُ أَنْ أَبْتَعِدَ عَنِ الْكَنِيسَةِ ١٥ عَامًا أَوْ ٢٠ عَامًا، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهَا لِأَجْدِهِ لَا يَزَالُ يَعْطُ مِنْ سِفْرِ أَيُّوبَ. نَعَمْ، سَنَدْرُسُ سِفْرَ أَيُّوبَ لَكِنْ عَلَى مُدَّةٍ زَمَنِيَّةٍ أَقْصَرَ؛ عَلَى مَدَارِ ١٢ مُحَاضَرَةً تَقْرِيْبًا.

يُثِيرُ سِفْرُ أَيُّوبَ بَعْضَ أَصْعَبِ الْأَسْئَلَةِ فِي شَتَّى أُمُورِ الْحَيَاةِ. أَسْئَلَةٌ "لِمَاذَا؟" وَ"لِمَاذَا أَنَا؟" وَ"لِمَاذَا الْأَلَمُ؟" وَ"لِمَاذَا بِهِذِهِ الْقَسْوَةِ؟" وَ"لِمَاذَا الْآنَ؟" وَ"لِمَاذَا بِهِذِهِ الطَّرِيقَةِ تَحْدِيدًا؟" يُثِيرُ السَّفْرُ مَسَائِلَ لَاهُوتِيَّةً وَأُخْرَى فِلْسَفِيَّةً، وَأَسْئَلَةً عَنِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْأَلَمِ وَالْحُطِيَّةِ، وَالْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْحَيْرِ وَالشَّرِّ، وَهَلِ اللَّهُ ذُو سِيَادَةٍ وَمُتَجَبَّرٌ، أَمْ لَهُ الْإِرَادَةُ وَلَكِنَّهُ فَاقِدُ السِّيَادَةِ؟ يُثِيرُ السَّفْرُ أَسْئَلَةً كَثِيرَةً، مَا نَشِيرُ إِلَيْهَا بِعِبَارَةِ "الْعَدَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ"، تَبْرِيرِ تَعَامُلَاتِ اللَّهِ. كَيْفَ يَكُونُ اللَّهُ عَادِلًا فِي ظِلِّ قَسْوَةِ الْمَعَانَاةِ الَّتِي جُرِّبَ بِهَا أَيُّوبُ، فِي الْأَصْحَاحِينَ ١، ٢؟

يَعْرِضُ لَنَا الْأَصْحَاحُ ١ السِّيَاقَ فِي صُورَةٍ مَشْهَدٍ تَمْهِيدِيٍّ. يَنْبَغِي لَنَا إِذْرَاكُ أَنَّ أَيُّوبَ ذَاتَهُ لَمْ يَعْلَمْ بِمَا يَحْتَوِيهِ هَذَانِ الْأَصْحَاحَانِ مِنْ أَحْدَاثٍ. هَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ هِيَ لَنَا. ثُمَّ نَقْرَأُ حِوَارًا مُطَوَّلًا بَيْنَ أَيُّوبَ وَأَصْدِقَائِهِ الثَّلَاثَةِ، ثُمَّ بَيْنَ أَيُّوبَ وَالْيَهُودِ، وَفِي النِّهَايَةِ بَيْنَ أَيُّوبَ وَاللَّهِ نَفْسِهِ. إِنَّمَا الْأَصْحَاحَانِ الْأَوَّلَانِ يَمْنَحَانِنَا تَمْهِيدًا إِلَى الْمَعَانَاةِ وَالْأَلَمِ. تَبْدَأُ الشَّخْصِيَّاتِ الرَّئِيسِيَّةِ فِي الظُّهُورِ. أَوَّلًا، أَيُّوبُ. ثَانِيًا، إِبْلِيسُ، أَوِ الشَّيْطَانُ. ثَالِثًا، اللَّهُ.

أَوَّلُ شَخْصِيَّةٍ هِيَ أَيُّوبُ. أَنَا أُوْمِنُ أَنَّ أَيُّوبَ شَخْصِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ. إِذْ ذَكَرَهُ حَزْقِيَالُ فِي الْأَصْحَاحِ ١٤ مِنْ نُبُوتِهِ مَعَ نُوحٍ. مِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنَّهُ قَدْ عَاصَرَ إِبْرَاهِيمَ، وَرَبَّمَا قَبْلَهُ بِزَمَنِ قَصِيرٍ، مَعَ أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّ السَّفْرَ نَفْسَهُ قَدْ دُونَ بَعْدَ هَذِهِ الْحَقْبَةِ. أَتَى أَيُّوبُ مِنْ عَوْصَ، وَهِيَ مَنْطِقَةٌ فِي الصَّحْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ. أَيُّ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رُبَّمَا لِيُمَثِّلَ الْبَشَرِيَّةَ جَمْعَاءَ فِي الْعُمُومِ. وَلَمْ يُذَكَّرْ لَهُ نَسَبٌ. لَكِنْ هُنَاكَ آيَةٌ تَرَدَّدَتْ ٣ مَرَّاتٍ، مَرَّتَيْنِ فِي الْأَصْحَاحِ ١ وَمَرَّةً فِي الْأَصْحَاحِ ٢، تَقُولُ إِنَّهُ

كَانَ "كَامِلًا وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي اللَّهَ وَيُحِيدُ عَنِ الشَّرِّ". تَمَنَّعَ أَيُّوبُ بِأَرْبَعِ صِفَاتٍ وَهِيَ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ وَيَتَّقِي اللَّهَ وَيُحِيدُ عَنِ الشَّرِّ. تَرَوْنَهَا فِي الْآيَةِ ١، الْآيَةِ الَّتِي افْتَتَحَ بِهَا الْكَاتِبُ السَّفْرَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ بِفِيهِ هَذَا أَيْضًا عَنْ أَيُّوبَ فِي الْآيَةِ ٨ مِنَ الْأَصْحَاحِ ١، وَالْآيَةِ ٣ مِنَ الْأَصْحَاحِ ٢. فَقَدْ اسْتُعْلِنَتْ تَقْوَاهُ. رَبِّمَا كَانَ أَتَقَى إِنْسَانٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. كَمَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فَاحِشَ الثَّرَاءِ. وَكَانَ مُتَزَوِّجًا بِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ. وَنَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّ لَهُ ١٠ أَبْنَاءَ، مَاتُوا جَمِيعًا فِي الْأَصْحَاحِ ١. لَكِنَّهُ كَانَ تَقِيًّا. هَذَا يُعِدُّنَا لِنُذْرِكَ أَنَّ الْأَلَمَ الَّذِي اخْتَبَرَهُ، لَيْسَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَارًّا أَوْ تَقِيًّا. نَحْنُ نُنْذِرُكَ لِمَاذَا يَتَأَلَّمُ الْأَشْرَارُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَوْ عَلَى الْأَقْلَ نُرِيدُ أَنْ نُفَكِّرَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، أَنَّ الْأَشْرَارَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمُوا. إِنْ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتَأَلَّمَ أَحَدٌ فِي الْعَالَمِ، فَهُمُ الْأَشْرَارُ. لَكِنَّ مُشْكَلَةَ سَفْرِ أَيُّوبَ أَنَّ لَدَيْنَا رَجُلًا تَقِيًّا، فِي الْوَاقِعِ قَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ الْأَتَقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فِي زَمَانِهِ، يَخْتَبِرُ هَذِهِ الصَّدْمَةَ وَهَذَا الْأَلَمَ الْقَاسِي الْعَنيفَ.

إِنَّ هَذِهِ الْعِبَارَاتِ الثَّلَاثَ عَنْ تَقْوَى أَيُّوبَ - أَنَّهُ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، وَيَتَّقِي اللَّهَ وَيُحِيدُ عَنِ الشَّرِّ - تُؤَكِّدُ عَلَى تَمَسُّكِ أَيُّوبَ وَإِصْرَارِهِ عَلَى بَرَاعَتِهِ. هُنَا نُوَاجِهُ بَعْضَ الْمُسْكَلَاتِ حِيَالِ مُعَانَاةِ الْبَرِيءِ أَحْيَانًا، مِمَّا يَدْفَعُنَا لِنَقُولَ: "مَا مِنْ إِنْسَانٍ بَرِيءٍ!" لَكِنَّ أَيُّوبَ كَانَ بَرِيئًا. لَمْ يَكُنْ بِلا حَظِيَّةٍ، فَهُوَ مِنْ نَسْلِ آدَمَ، وَقَدْ وَرَثَ الْحَظِيَّةَ الْأَصْلِيَّةَ، لَكِنَّ مَا مِنْ رَابِطٍ هُنَا بَيْنَ آيَةِ حَظِيَّةٍ افْتَرَفَهَا وَالْأَلَمِ. وَبِالتَّالِي نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ أَيُّوبَ مِثَالٌ عَلَى أَلَمِ الْبَرِيءِ. يَحْمِلُ إِنْجِيلُ يُوحَنَّا فِي الْأَصْحَاحِ ٩ مِثَالًا آخَرَ وَهُوَ الْمَوْلُودُ أَعْمَى. كَمَا تَتَذَكَّرُونَ، فَقَدْ سَأَلَ التَّلَامِيذُ الرَّبَّ يَسُوعَ: مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟ أَجَابَ يَسُوعُ: "لَا هَذَا أَخْطَأَ وَلَا أَبَوَاهُ، لَكِنَّ لِنَظَرِهَا أَعْمَالَ اللَّهِ فِيهِ". وَهَذَا أَيْضًا يَدْعُمُ ادِّعَاءَ أَيُّوبَ الْبَرَاعَةَ.

وَبِالتَّالِي يُؤَدِّي هَذَا إِلَى تَفَاقُمِ الْمُسْكَلَةِ. لِمَاذَا يَتَأَلَّمُ الْإِنْسَانُ التَّقِيُّ؟ فَنَحْنُ يَوْمَ وَاحِدٍ، انشَقَّتِ الْأَرْضُ وَابْتَلَعَتْ حَيَاةَ أَيُّوبَ. مِنْ خِلَالِ عَوَاصِفِ مُتَتَالِيَةٍ عَلَى مَا بَدَأَ أَنَّهُ حَفَلٌ عِيدِ مِيلَادٍ. فَقَدْ أَيُّوبُ كُلَّ شَيْءٍ. فَقَدْ ثَرَوَتْهُ وَرَأْسَ مَالِهِ وَدَخَلَهُ. فَقَدْ كُلَّ شَيْءٍ. وَالْأَهَمُّ فَقْدَانُهُ لِأَبْنَائِهِ الْعَشْرَةِ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَبِضْرَبَةٍ وَاحِدَةٍ. يَصْعَبُ تَحْيُلُ كَيْفَ يَبْدُو فَقْدَانُ طِفْلٍ وَاحِدٍ. اتَّصَلَ هَاتِفِي مِنَ الشَّرْطَةِ. ثُمَّ طَرَّقَ عَلَى الْبَابِ، وَإِذَا رَجُلٌ فِي زِيٍّ مَوْحِدٍ بِوُجُوهِ مُتَجَهِّمَةٍ، يَقُولُونَ: "أَتَسْمَحُ لَنَا بِالِدُخُولِ؟" وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَا يَحْمِلُونَ أَحْبَابًا سَارَةً عَنِ ابْنِ، أَوْ عَنِ ابْنَتِهِ، لَكِنَّ فِي حَالَتِنَا هَذِهِ عَنْ ١٠ أَبْنَاءٍ. فَقَدُوا جَمِيعًا، مَاتُوا، قُتِلُوا. فَاجِعَةٌ تَبَاعُثُكَ وَتَتْرُكُكَ فِي حَالَةِ أَلَمٍ وَدَمَارٍ وَخَسَارَةٍ فَادِحَةٍ. وَهِيَ هِيَ أَيُّوبُ. رَبِّمَا يُمْكِنُكُمْ تَحْيُلُ أَحَدِ أَبْنَائِهِ يَعْمَلُ فِي بُرْجِ التِّجَارَةِ الْعَالَمِيِّ. فَأَيُّوبُ رَجُلٌ ذُو سَمْعَةٍ طَيِّبَةٍ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ. وَإِحْدَى بَنَاتِهِ تَعْمَلُ مُضَيِّفَةً عَلَى الْخُطُوطِ الْجَوِّيَّةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، وَهَكَذَا. وَلَكُمْ أَنْ تَتَحَيَّلُوا الْمَشْهَدَ. أَوْ رَبِّمَا يَأْلُفُ جَمِيعَكُمْ هَذَا الْمَشْهَدَ جَيِّدًا، لِأَنَّكُمْ دُفْتُمْ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْفَبِيلِ فِي حَيَاتِكُمْ. وَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يَتَنَاوَلُ الْأَمْرَ هُنَا؛ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ، إِنْ جَارَ التَّعْبِيرُ. فِي الْوَاقِعِ، أَحَدٌ أَقْدَمَ أَسْفَارِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الْقَانُونِيَّةِ يَتَنَاوَلُ هَذِهِ الْمُعْضَلَةَ تَحْدِيدًا. فِي الْأَصْحَاحِ التَّالِي، فَقَدْ أَيُّوبُ عَافِيَتَهُ. سَتَنَاوَلُ هَذَا فِي الْمَحَاضِرَةِ ٢. تَتَفَاقَمُ الْأُمُورُ مِنْ سَيِّئٍ إِلَى أَسْوَأَ. لَكِنَّ قَبْلَ أَيِّ شَيْءٍ، نَتَعَرَّفُ عَلَى

أَيُّوبَ، الرَّجُلِ التَّقِيِّ، الَّذِي يُعَدُّ الْإِنْسَانَ الْأَثْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. لَكِنَّهُ اخْتَبَرَ فِي حَيَاتِهِ هَذِهِ الْحَسَارَةَ الْمُرِيعَةَ الَّتِي تُذْهِبُ الْعَقْلَ.

أَمَّا الشَّخْصِيَّةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي فِي الْأَصْحَاحِ ١، هِيَ إِبْلِيسُ؛ وَهُوَ حَرْفِيًّا "الشَّيْطَانُ"، وَالْعَدُوُّ. إِنَّهُ لَقَبٌ أَكْثَرُ مِنْ كَوْنِهِ اسْمًا. وَيَصِفُ مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَهُوَ الْعَدُوُّ، وَهُوَ الْمُقَاوِمُ. لَا يَظْهَرُ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ آخَرَ فِي السَّفَرِ. وَهَذَا مُحْيِرٌ؛ لَا يَظْهَرُ فِي مُحَادَثَةِ الْأَصْدِقَاءِ؛ وَلَا يَظْهَرُ فِي مُحَادَثَةِ أَلِيهِ، تِلْكَ الشَّخْصِيَّةُ الْغَامِضَةُ الَّتِي ظَهَرَتْ مَعَ اقْتِرَابِ السَّفَرِ مِنْ نَهَائِيهِ؛ وَلَا يَظْهَرُ، عَلَى الْأَقْلَ بِاسْمِهِ، فِي الْحَوَارِ بَيْنَ أَيُّوبَ وَاللَّهِ فِي الْأَصْحَاحَاتِ الْخَتَامِيَّةِ مِنْ سَفَرِ أَيُّوبَ، مَعَ أَنَّ الْبَعْضَ قَالُوا إِنَّ فِي شَخْصِيَّتِي لَوِيَّائَانٍ وَبِهِمُوثُ إِشَارَةٌ إِلَى الشَّيْطَانِ وَسَنَتَحَدَّثُ عَنْ هَذَا فِي الْخَتَامِ.

مَاذَا يَقُولُ؟ يُخْبِرُنَا النَّصُّ فِي الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ أَنَّهُ ذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ الشَّيْطَانُ أَيضًا فِي وَسْطِهِمْ، فِي الْآيَةِ ٦ "وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللَّهِ لِيَمْتَلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيضًا فِي وَسْطِهِمْ". لَا أَعْلَمُ أَيْنَ حَدَثَ هَذَا، إِنَّهُ فِي مَكَانٍ مَا فِي الْكَوْنِ. لَكِنَّ الْمُرَادَ هُنَا هُوَ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدَّمَ حِسَابًا إِلَى اللَّهِ الْقَدِيرِ. هَذِهِ لَيْسَتْ مَسْأَلَةً ثُنَائِيَّةَ الْفَوَى، أَيْ لَا يَعُودُ السَّبَبُ فِي الْأَلَمِ إِلَى وُجُودِ قُوَى مُتَسَاوِيَةٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ. لَا، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَحْضُرَ الشَّيْطَانُ وَيَقْدَمَ حِسَابًا. وَتَفَرُّأُ فِي الْآيَةِ ٧: "فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: "مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟". فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: "مِنَ الْجَوْلَانِ فِي الْأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَثِّي فِيهَا". فَهُوَ يَطُوفُ وَيَجُولُ بِلا مَسْكَنِ، إِنَّهُ رُوحٌ هَائِمَةٌ، وَلَيْسَ لَهُ مَا يَدْعُوهُ مَنْزِلًا. ثُمَّ فِي الْآيَةِ ٨: "فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الْأَرْضِ" ثُمَّ يَسْرُدُ صِفَاتِهِ الْأَرْبَعَةَ. وَفِي الْآيَةِ ٩: "فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: هَلْ مَجَانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللَّهَ؟"

تَظْهَرُ هُنَا أُمُورٌ عِدَّةٌ. أَوَّلُهَا، وُجُودُ رَابِطٍ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَالْأَلَمِ. قَدْ لَا نَعْلَمُ الرَابِطَ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَالْأَلَمِ لَكِنَّ مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ هُنَاكَ رَابِطًا مَا بَيْنَهُمَا. فَإِنَّ سَبَبَ أَلَمِ أَيُّوبَ لَهُ عِلَاقَةٌ بِالشَّيْطَانِ. لَكِنَّهَا لَيْسَتْ الْإِجَابَةُ الْكَامِلَةُ. فَفِي الْأَسَاسِ، مِنَ الَّذِي وَضَعَ أَيُّوبَ فِي ذَهْنِ الشَّيْطَانِ؟ نَعَمْ، إِنَّهُ اللَّهُ حِينَ قَالَ: "هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟" قَدْ تَقُولُونَ: "وَلَكِنْ، رَبِّمَا لَمْ يُفَكِّرِ الشَّيْطَانُ فِي أَيُّوبَ سِوَى بَعْدَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ أَمَامَهُ. لَكِنْ كَمَا تَرَوْنَ، إِنَّ حَلَّ مُشْكِلةِ الْأَلَمِ وَالْمَعَانَاةِ لَيْسَ فِي الشَّيْطَانِ. هُوَ حَتْمًا لَهُ دَخَلٌ فِي الْأَلَمِ. فَالظُّلْمَةُ وَعَالَمُ الشَّرِّ وَعَالَمُ الْمُقَاوَمَةِ جُزْءٌ مِنْهُ حَتْمًا، لَكِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ الصُّورَةُ الْكَامِلَةُ. سَيَتَعَيَّنُ عَلَيْنَا تَنَاوُلُ مَوْضُوعِ سِيَادَةِ اللَّهِ. فَاللَّهُ مَوْجُودٌ فِي هَذَا الْأَلَمِ، وَمَوْجُودٌ فِي هَذِهِ التَّجْرِبَةِ. فَاللَّهُ هُوَ الْوَحِيدُ مَنْ عَرَفَ الشَّيْطَانَ بِأَيُّوبَ. حَقًّا، يُرَاوِدُنَا جَمِيعًا هُنَا انْطِبَاعٌ بِأَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَسْتَطِيعُ رَفْعَ إِصْبَعٍ دُونَ إِذْنِ مِنَ اللَّهِ. فِي سِيَاقِ الْأَصْحَاحِ ١، أَخَذَ الشَّيْطَانُ "الإِذْنَ". دَعَوْنَا نَسْتَحْدِمُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ الْآنَ. سُمِّحَ لَهُ بِأَذِيَّةٍ مَا لِأَيُّوبَ. لَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَلْمُسَهُ هُوَ. إِنَّمَا فِي الْأَصْحَاحِ ٢، سَيُسْمَحُ لَهُ بِأَذِيَّةِ أَيُّوبَ نَفْسِهِ، فَسَيَمْرَضُ أَيُّوبُ بِمَرَضٍ مُهَدِّدٍ لِلْحَيَاةِ. لَكِنَّ مَنْ يَضَعُ الْحَوَاجِزَ وَالْعَوَائِقَ؟ مَنْ يَرَسُمُ الْحُدُودَ؟ مَنْ يَضَعُ الْإِحْدَاثِيَّاتِ الَّتِي يَدْخِلُهَا يُنْقِذُ

الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُ الدِّينِيَّةُ؟ اللهُ مَنْ يَضَعُ وَيَرْسُمُ، إِنَّهُ اللهُ. الشَّيْطَانُ كَذَّابٌ. الشَّيْطَانُ مُخَادِعٌ. هُوَ الْمَشُورَةُ. لَكِنَّ سُلْطَانَهُ لَيْسَ مُطْلَقًا، لَهُ دَخْلٌ فِي الْأَمْرِ. لِمَاذَا الْأَلَمُ مَوْجُودٌ؟ لِمَاذَا التَّجْرِبَةُ مَوْجُودَةٌ؟ لِمَاذَا هُنَاكَ مَشَقَّاتٌ؟ لِأَنَّنا نَحْيَا فِي عَالَمٍ مِنَ الْحَبْرِ وَالشَّرِّ خَارِقٍ لِلطَّبِيعَةِ. نَحْيَا فِي عَالَمٍ يَسْكُنُهُ الشَّيْطَانُ. "إِنَّ مَصَارِعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَحَلِيمٍ، بَلْ مَعَ الرَّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلَاطِينِ، مَعَ وِلَاةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةٍ هَذَا الدَّهْرِ". عَلَيْنَا أَنْ نَضَعَ ذَلِكَ فِي حِسَابَاتِنَا. يُخْرِئُنَا الْأَصْحَاحُ ١ مِنْ سَفْرِ أَيُّوبَ أَنَّنَا بِحَاجَةٍ إِلَى إِدْرَاكِ وُجُودِ الشَّيْطَانِ وَنَشَاطِهِ وَحَقِيقَتِهِ. وَأَنَّهُ يُبْغِضُ اللهُ وَيَكْرَهُهُ. فَهُوَ شَرٌّ مُطْلَقٌ. يَا لَهَا مِنْ سِمَةٍ مَقِيَّتَةٍ، شَرٌّ مُطْلَقٌ. إِذْ يَصْعَبُ تَحْيُلُ مَدَى شَرِّهِ. كَأَنَّ حَيًّا لَا هَدَفَ لَهُ سِوَى إِبْطَالِ مَقَاصِدِ اللهِ. فَيَهَاجِمُ شَعْبَ اللهِ، مَنْ هُمْ مِثْلُ أَيُّوبَ أَوْ مِثْلَكُم مِثْلِي. هَذَا أَيُّوبُ وَذَلِكَ الشَّيْطَانُ.

ثُمَّ تَأْتِي الشَّخْصِيَّةُ الْغَالِثَةُ وَهِيَ اللهُ. نَحْنُ نَتَحَدَّثُ عَنْ مُشْكِلَةِ الْأَلَمِ. لَقَدْ أَلَّفَ سِي. إِس. لُويسَ كِتَابًا فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ لَا يَزَالُ يُعَدُّ أَحَدَ أَعْظَمِ الْمُؤَلَّفَاتِ عَنْ هَذِهِ الْمُعْضَلَةِ، وَهُوَ بِعُنْوَانِ "الله - الْإِنْسَانُ وَالْأَلَمُ". فِي الْوَاقِعِ، قَدْ نُشِيرُ إِلَيْهَا بِأَنَّهَا "مُشْكِلَةُ اللهِ". فَمَا الْمُسْكِكَةُ الَّتِي فِي الْأَصْحَاحِ ١؟ نَعَمْ، نَحْنُ نَفْهَمُ الْأَلَمَ. فَالْأَلَمُ مَوْجُودٌ فِي الْعَالَمِ. وَالْمَعَانَةُ مَوْجُودَةٌ فِي الْعَالَمِ. لَكِنَّ يَتِمُّ السُّؤَالُ فِي لِمَاذَا لَا يَمْنَعُهُ اللهُ؟ لِمَاذَا لَا يَتَصَرَّفُ اللهُ حِيَالَهُ إِنْ كَانَ صَاحِبَ السِّيَادَةِ، وَإِنْ كَانَ كُلِّي السُّلْطَةَ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، وَإِنْ كَانَ الْوَاضِعَ لِلْأَرْضِ حَدًّا؟ إِنْ كَانَ قَادِرًا، وَإِنْ كَانَ كُلِّي الْقُوَّةَ وَالْقُدْرَةَ، لِمَاذَا لَا يَتَصَرَّفُ حِيَالَهُ؟ هَلْ هِيَ مُشْكِلَةٌ مُرْتَبِطَةٌ بِمَشِيئَتِهِ؟ فَهَلْ هُوَ ذُو سِيَادَةٍ وَمُتَجَبَّرٌ؟ أَيْ هَلْ هُوَ ذُو سِيَادَةٍ، لَكِنَّ يَعْوُفُهُ شَيْءٌ مَا؟ هَلْ هَذِهِ هِيَ الْإِجَابَةُ؟ أَمْ لَهُ الْإِرَادَةُ، وَلَكِنَّ يَفْتَقِرُ إِلَى السِّيَادَةِ؟ هَلْ يَرْعَبُ فِي مَنْعِهِ، لَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ؟ فَالْمُسْكِكَةُ هُنَا قَدْ نُطْلِقُ عَلَيْهَا مُشْكِلَةَ اللهِ. هَلْ سَيَصْنَعُ اللهُ أَمَامَ امْتِحَانِ التَّجْرِبَةِ؟

أَنْتُمْ تَتَدَكَّرُونَ مَا قَالَهُ أَيُّوبُ فِي الْآيَةِ ٢١: "عُرْيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي، وَعُرْيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنْ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا". يَا لِرُوعَةِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ! كَلِمَاتٌ مُدْهِلَةٌ، خَاصَّةً فِي سِيَاقِهَا. إِذْ إِنَّهُ إِنْسَانٌ فَقَدَ كُلَّ مَا يَمْلِكُ. فَقَدْ أَبْنَاءَهُ الْعَشْرَةَ فَاجِعَةً لَا يُمَكِّنُ تَحْيُلَهَا. يَصْعَبُ عَلَيْنَا إِدْرَاكِ أَعْمَاقِ الْأَلَمِ الَّذِي يُعَانِيهِ. فَمَا هُوَ جَوَابُهُ السَّرِيعُ الَّذِي يَعْكُسُ تَقْوَى قَلْبِ هَذَا الرَّجُلِ؟ هَلْ هُوَ إِقْرَارٌ وَاعْتِرَافٌ بِسِيَادَةِ اللهِ؟ هُنَاكَ أَشْخَاصٌ، وَمِنْهُمْ خُدَّامُ الْإِنْجِيلِ مَنْ بِكُلِّ حُسْنِ نِيَّةٍ، يُرَدِّدُونَ فِي الْجُنَازَاتِ، خَاصَّةً عِنْدَمَا تَكُونُ الْفَاجِعَةُ مَرِيرَةً. يَقُولُونَ كَلَامًا مِثْلَ: "لَا تُثِقُوا بِاللَّوْمِ عَلَى اللهِ". أَتَعْلَمُونَ؟ "لَمْ يَكُنْ فِي الْمَوْقِفِ". "لَمْ يَتَدَخَّلْ فِي الْأَمْرِ". "يَدَاهُ كَانَتَا مُقَيَّدَتَيْنِ". "لَمْ يَكُنْ يَنْظُرُ". "يَقَعُ اللَّوْمُ عَلَى شَخْصٍ آخَرَ، أَوْ شَيْءٍ آخَرَ". يَقَعُ اللَّوْمُ عَلَى الشَّيْطَانِ، أَوْ الْكُونِ نَفْسِهِ؛ إِنَّهُ قَانُونُ الطَّبِيعَةِ أَوْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛ إِنَّهَا الْعَدَالَةُ الْإِلَهِيَّةُ، وَالْهَدَفُ إِعْفَاؤُنَا مِنْ إِلْقَاءِ اللَّوْمِ عَلَى اللهِ فِي هَذَا. إِنَّمَا لَا بَدَّ مِنْ أَنْ نَحْتَرِسَ. اللهُ لَيْسَ مَصْدَرُ الْخَطِيئَةِ، لَيْسَ هُوَ مَصْدَرُ الْخَطِيئَةِ. لَكِنَّ يَدَ اللهِ الْمُتَسَيِّدَةَ مُتَدَاخِلَةً فِي الْأَمْرِ. فَمَا مِنْ شَيْءٍ يَحْدُثُ دُونَ مَشِيئَةِ اللهِ لَهُ أَنْ يَحْدُثَ قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ، وَدُونَ مَشِيئَةِ اللهِ لَهُ أَنْ يَحْدُثَ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يَحْدُثُ بِهَا. اللهُ كُلِّي الْقُدْرَةَ. اللهُ كُلِّي السِّيَادَةَ.

فَالْمُسْكَلَةُ هُنَا تَتَمَثَّلُ فِي كَيْفِيَّةِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ذَا سِيَادَةٍ وَيَسْمَحُ بِوُقُوعِ شَيْءٍ مِثْلِ هَذَا؟ هَذِهِ هِيَ الْمُعْضَلَةُ. هَذِهِ هِيَ الْمُعْضَلَةُ الَّتِي وَاجَهَهَا أَيُّوبُ نَفْسَهُ وَتَعَامَلَ مَعَهَا. يَا لَهُ مِنْ اعْتِرَافٍ مُنْقَطِعِ النَّظِيرِ مِنْ أَيُّوبَ فِي نَهَايَةِ الْأَصْحَاحِ ١. فَهُوَ لَنْ يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ. "الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا". لَقَدْ اخْتَبَرْتُ أَنَا هَذَا مَرَّاتٍ عَدِيدَةً، حِينَمَا فَاجَأَ الْمَوْتُ أَحَدَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ، فَتَرَدَّدَ الْعَائِلَةُ قَوْلَ أَيُّوبَ فِي الْآيَةِ ٢١ مِنَ الْأَصْحَاحِ ١. اخْتَبَرْتُهُ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً. يَحُلُّ شُعُورًا بِالسَّكِينَةِ وَالسَّلَامِ لِأَنَّهُمْ فِي رَاحَةٍ سِيَادَةِ اللَّهِ وَأَمْنِهَا. "لَسْتُ مُسْتَوْعِبًا. لَا أَفْهَمُ جَمِيعَ أَسْبَابِ وُقُوعِ كُلِّ هَذِهِ الْأُمُورِ. لَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ الرَّبَّ أَعْطَى وَالرَّبَّ أَخَذَ، وَأَنَا أَتَقَرُّ بِهِ".

وَلَكِنْ لَنْ يَبْقَى أَيُّوبُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ كَثِيرًا. مِنْ هُنَا تَأْتِي الْبِدَايَةُ. سَيَجْتَازُ بِظُرُوفِ حَالِكَةِ الظَّلَامِ. وَقَدْ اخْتَبَرْتُ هَذَا أَنَا أَيْضًا. فِي الْعَالِبِ يَكُونُ النَّاسُ فِي حَالَةٍ مُخْتَلِفَةٍ بَعْدَ ٦ أَسَابِيعَ مِنَ الْفَاجِعَةِ. لَا أَعْلَمُ لِمَادَا ٦ أَسَابِيعَ. إِذْ يَبْدَأُ جُزْءٌ مِنْ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ فِي الْاسْتِفْرَارِ دَاخِلِيًّا، وَهُوَ عَدَمُ قَابِلِيَّةِ تَغْيِيرِهِ. يُدْرِكُونَ أَنَّهُ لَيْسَ حُلْمًا، وَيُدْرِكُونَ اسْتِحَالَةَ تَغْيِيرِهِ، وَيُدْرِكُونَ الْعَوَاقِبَ الَّتِي سَتَوَثَّرُ فِي مَسَارِ حَيَاةِ الْمَرْءِ بِأَسْرَهَا، وَالتَّغْيِيرَاتِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ التَّرَاجُعُ عَنْهَا أَبَدًا. وَأَحْيَانًا يَكُونُ الْبَيْتُ مُخْتَلِفًا لِلْعَايَةِ حِينَ نَتَفَقَّدُهُ عَقِبَ شَهْرَيْنِ ثُمَّ ٣ أَشْهُرٍ ثُمَّ ٦ أَشْهُرٍ ثُمَّ عَامٍ. سَيَدْخُلُ أَيُّوبُ فِي حَالَةٍ حَالِكَةِ الظَّلَامِ. وَسَيَطْرُقُ سِتَّى أَنْوَاعِ الْأَسْئَلَةِ: أَسْئَلَةُ صَعْبَةٍ، وَأَسْئَلَةُ أَخْلَاقِيَّةٍ، وَأَسْئَلَةُ لَاهُوتِيَّةٍ، وَأَسْئَلَةُ فَلَاسِفِيَّةٍ، وَأَسْئَلَةُ شِكَايَةٍ وَاتِّهَامٍ، وَأَسْئَلَةُ لَأْصِدِقَائِهِ، وَأَيْضًا اتِّهَامٍ لِلَّهِ. سَيَسْأَلُكَ فِي طُرُقِ اللَّهِ. سَيَسْأَلُكَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ. سَيَسْأَلُكَ فِي عَدْلِ اللَّهِ، وَيَعْتَبِرُ اللَّهُ ظَالِمًا.

يَقْفِدُ الْبَشَرُ إِيمَانَهُمْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ. يَقُولُونَ إِنَّ كَانَ اللَّهُ عَظِيمًا، لِمَادَا لَمْ يُوقِفِ الْأَمْرَ؟ لِمَادَا لَمْ يَمْنَعُهُ؟ لَا أَصَدِّقُ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَحُ بِوُقُوعِ هَذَا. وَرُبَّمَا يُعَدُّ هَذَا مُنْحَدَرًا لِفُقْدَانِ الْإِيمَانِ. يَغْضَبُ الْبَشَرُ مِنَ اللَّهِ. فَيَزِيغُونَ بَعِيدًا. يُبْرِرُونَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وَيَحْتَفِظُونَ بِهَذَا الْاسْتِيَاءِ الَّذِي يَتَحَوَّلُ إِلَى مَرَارَةٍ. كَيْفَ تُرِيدُونَ أَنْ يَكُونَ رَدُّ فِعْلِكُمْ لَذَلِكَ؟

فَلنَتْرِكْ هَذَا الْأَصْحَاحَ. سَنَصْرِفُ وَقْتًا فِي التَّحَدُّثِ عَنِ الْمَسَائِلِ الْفَلَاسِفِيَّةِ فِي الْمَحَاضِرَاتِ الْقَادِمَةِ. لَكِنْ مَادَا سَيَكُونُ رَدُّ فِعْلِكُمْ إِذَا حَدَّثَ لَكُمْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؟ هَلْ سَنَقُولُ: "حَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا!" لَكِنْ افْتَرَضُوا أَنَّهُ فَعَلَهُ، عَدَا أَوْ الْأُسْبُوعَ الْقَادِمِ. أَلَنْ تَقُولُوا: "أُرِيدُ أَنْ أُجِيبَ مِثْلَمَا أَجَابَ أَيُّوبُ؟" "أُرِيدُ أَيُّوبَ الْأَصْحَاحِ ١ وَالْآيَةَ ٢١؟" فَسَتَحْتَاجُ إِلَى تَعَلُّمِهَا وَحِفْظِهَا. سَتَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ هَذَا النَّصِّ "الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ، فَلْيَكُنِ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا" لَتُغْرَسَ فِي فِكْرِكُمْ، وَتَخْرُجَ تَلْقَائِيَّةً مِنْكُمْ.

إِنْ كَانَ فِي مَقَاصِدِ اللَّهِ السَّامِيَةِ السِّيَادِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ فِي عِنَايَتِهِ الْاسْتِثْنَائِيَّةِ أَنْ تَقَعَ فَاجِعَةٌ مِثْلُ هَذِهِ، فَأُرِيدُ أَنْ أَنْطِقَ بِهَذِهِ الْآيَةِ. هَذَا هُوَ الْجَوَابُ الَّذِي أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهُ لِأَصْدِقَائِي وَلِكَنِيْسَتِي وَلِنَفْسِي وَلِلَّهِ مُخْلِصِي الْمُبَارَكِ رَبِّي يَسُوعَ. لِأَنِّي أَعْرِفُ أَنَّهُ يُجِبُّنِي. لِطَالَمَا أَحَبَّنِي، وَلَنْ يَتَوَقَّفَ عَن مَحَبَّتِهِ لِي.

سَفَرُ أَيُّوبَ سَفَرٌ اسْتِثْنَائِيٌّ؛ سَنَزُورُ أَمَاكِنَ مُظْلِمَةً جِدًّا وَصَعْبَةً. سَنُقَابِلُ شِكَايَاتِ مُخَطَّمِ الْقَلْبِ بِطَبِيعَتِهَا وَسَمَتِهَا. لَكِنَّ الْآيَةَ ٢١ مِنَ الْأَصْحَاحِ ١ هِيَ مَا نَرْغَبُ فِي قَوْلِهِ، أَنْتُمْ وَأَنَا.

لِمَاذَا لَا نُصَلِّي جَمِيعًا بِأَنَّ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَةُ جَوَابَنَا الَّذِي نُقَدِّمُهُ حِينَ تُصِيبُنَا تَجْرِبَةٌ كَبِيرَةٌ كَهَذِهِ، لِأَنَّ سَنَرْتَاخَ وَنَتَعَزَّى بِسِيَادَتِهِ، مُدْرِكِينَ مَحَبَّتَهُ وَعَالِمِينَ أَنَّ مَا مِنْ شَيْءٍ يُصِيبُنَا خَارِجَ مَقَاصِدِهِ الرَّؤُوفَةِ بِنَا؟

الدُّكْتُورُ دِيرِيكُ تُوْمَاسُ هُوَ الرَّاعِي الْأَسَاسِيُّ لِلْكَنِيسَةِ الْمَشِيخِيَّةِ الْأُولَى فِي مَدِينَةِ كُولُومْبِيَا، بِوِلَايَةِ سَاوْتِ كَارُولَايْنَا، وَأُسْتَاذٌ اسْتِشَارِيٌّ لِعِلْمِ اللاهوتِ النِّظَامِيِّ وَالرَّعَوِيِّ فِي كَلِيَّةِ اللاهوتِ الْمُصْلِحَةِ. وَهُوَ عَضْوٌ هَيْئَةِ التَّدْرِيسِ فِي خِدْمَاتِ لِيْجُونِيْرٍ، وَقَدْ كَتَبَ الْعَدِيدَ مِنَ الْكُتُبِ، بِمَا فِي ذَلِكَ كِتَابٌ "كَيْفَ يَقُودُنَا الْإِنْجِيلُ إِلَى مَوْطِنِنَا" (*How the Gospel Brings Us All the Way Home*).